

حافظ وشوقي وزعامة مصر الأدبية

١

تأخرت زعامة مصر الأدبية قرونًا متعاقبة، ومعروف أن نجدًا كانت هي السابقة إلى هذه الزعامة في العصر الجاهلي سواء في الشعر أو في الخطابة، ومعروف أيضا أن شعراءها كانوا يفدون حينئذ على أمراء الحيرة في العراق وأمراء غسان في الأردن وفي جلق جنوبي دمشق، حتى إذا أشرقت الجزيرة بنور الإسلام أخذ الشعر ينشط في المدينة ومكة، وسرعان ما ازدهرت الخطابة وجَدَّت الحاجة إلى كتابات مختلفة، سياسة وغير سياسية. وأخذت العراق سريعا تشارك في الشعر والنثر وخاصة الخطابة، وظلت زعامة الأدب العربي شركة بينها وبين الحجاز ونجد، وما نكاد نمضي في العصر العباسي حتى تغلب العراق هذين القطرين على الشعر والنثر جميعًا، وتظل لها الزعامة فيها. ومنذ القرن الثالث الهجري تحاول الشام أن يكون لها نصيب من هذه الزعامة، إذ ينشأ بها العتّابي وأبو تمام والبحتري وديك الجن، ويظل للعراق النصيب الأوفر، مما جعل شعراء الشام يرحلون دائمًا إلى بغداد مهدين قصائدهم إلى الخلفاء والوزراء، حتى إذا أظلَّ شمالي الشام عهد سيف الدولة الحمداني بحلب أتاه الشعراء من كل فجٍّ، وفي مقدمتهم المتنبي، يشيدون بشجاعته وبطولته وما ينزل بالروم من صواعق الموت وروعده وعواصفه المدمرة.

وتتحول مقاليد الحكم بمصر في منتصف القرن الرابع الهجري إلى أيدي الفاطميين، ويزداد حظُّها من الشعر والنثر، أو قل من الشعراء والكتّاب، وهو حظٌّ لم يرتفع بها إلى مكانة الزعامة الأدبية، سواء في فن النثر أو في فن الشعر، حتى إذا نازلت مصر الصليبيين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وأخذت تسحق جموعهم سحقًا ذريعًا في كل ميدان، كما أخذت تستشعر قواها العاتية، إذا هي